المحاضرة الاولى: أهمية البحث التاريخي

أنقضى الزمن الذي أعتبر فيه التاريخ مجرد سردللحوادث، لكي يحفظ ذكرى الماضي ويمجد الأفعال البارزة في حياة الأشخاص والأمم، أو أنه نوع من الثفافة العامة اللازمة لاعداد الرجال للحياة السياسية أو الحربية، أو أنه فرع من فروع الأدب يدرس للتسلية وامتاع النفس، وظل التاريخ يتداوله الأدباء حينا و الباحثون المدققون حينا آخر، حتى تغيرت نظرة العلماء اليه،ووجد البحث العلمي التاريخي، وقصد الدارسون الوصول الى الحقيقة التاريخية في ذاتها بقدر المستطاع، وقد توطدّت قواعد الدراسة التاريخية، وعنيت البيئات العلمية بجمع الأصول التاريخية ونشرها، و التأليف في شتى نواحي التاريخ وبدراسة " منهج البحث التاريخي".

1- منهج البحث التاريخي:

هو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يبلغ الحقيقة التاريخية _ بقدر المستطاع _ ويقدمها للمختصين بخاصة و القراء عامة، وتلخص هذه المراحل في تزويد الباحث نفسه بالثقافة اللازمة له، ثم اختيار موضوع البحث، وجمع الاصول و المصادر، واثبات صحتها، وتعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان التدوين ومكانه، وتحري نصوص الاصول وتحديد العلاقة بينها، ونقدها نقدا باطنيا ايجابيا، وسلبيا، واثبات الحقائق التاريخية وتنظيمها وتركيبها، والاجتهاد فيها، وتعليلها، وانشاء الصيغة التاريخية، ثم عرضها عرضا تاريخيا معقولا (ليس المقصود بالحقيقة التاريخية، الحقيقة المطلقة، فهذا أمر غير متاح للباحث.)

2- أهمية البحث التاريخي:

تكمن أهمية البحث التاريخي، في فحص نوع المادة التي استقى منها الباحث معلوماته، سواء كانت نقوش، او أثار قديمة معاصرة ثبتت صحتها وصحة معلوماتها، أهي أصول ووثائق ومراسلات مستخرجة من دور الارشيفالتاريخية وثبت أنها ليست مزيفة وأنّ معلوماتها صحيحة، ولم يسبق نشرها، أو على الأقل لم يسبق استخدامها بدرجة كافية؟ أم أن المادة التي اعتمد عليها الباحث مجرد مراجع ثانوية ليست ذات قيمة علمية؟

تتحدد قيمة البحث التاريخي في قدرة الباحث على الدرس و البحث، وقدرته على نقد ما تحت يده من الاصول و المصادر و المراجع، وطريقته في استخلاص الحقائق و تنظيمها و تفسيرها وعرضها. ويختلف الباحثون في النقد و في استخلاص الحقائق بحسب اختلافهم في الفهم و الاستنباط و التفسير، وأحيانا يضطر الباحث في التاريخ الى وضع افتراضات مختلفة لمحاولة فهم مسألة تاريخية، وقد يختلف الباحثون في تقدير معنى الحوادث، فتكون بذلك كتاباتهم متفاوتة أو مختلفة، ولا يمكن لأحد أ، يحتكر صفة الحقيقة، وهي كلها تعطي للتاريخ الحركة و الحياة، وتمنح للبحث التاريخي الاستمرارية، وعدم الاختلاف أو التفاوت يسببان الجمود و الركود في دراسة التاريخ.

تتجلى أهمية البحث التاريخي في بعد الباحث عن التحيز والاهواء، و معاينته الواقع قدر الامكان، وقد يتأثر الباحث بروح عصر معين، مثل عصر الثورة الصناعية أو ظهور الاشتراكية، وغيرها من المراحل، لذلك نجده يكتب وهو يحاول ابراز آراءه ومواقفه وفكره، ولا يمكن في هذه الحالة أن يعد ما جاء به معبرا عن الحقيقة التاريخية.

أهمية الكتابة التاريخية اذن تتحدد بناء على ثقافة الباحث، والمامه بمنهج البحث التاريخي، وكذا استعداده وملكاته، وثقافته الواسعة، وخبرته وتبصره، ولا يمكن أن يقوم التاريخ الا على أساس من الوثائق، هذه الوثائق التي تنقسم الى آثار أو مخلفات خطية ، أو روايات أو نقوش أو غيرها، ولهذا يجب أن تكون الاولى في المنهج التاريخي هي خطوة البحث عن الوثائق، الكافية أو الممكن ايجادها المتعلقة بحادث من الأحداث التاريخية.

يعد النقد أهم خطوة واذا صح القول الخطوة الحقيقية في المنهج التاريخي، حيث تعد الوثائق التي جمعها المؤرخ نقطة البدء للوصول الى الواقعة التاريخية وهي الغاية، وبين الوثيقة والواقعة التاريخية المستردة طبعا طريقا طويلا وشاقا، وهذه الخطوات هي الوصف الحقيقي للمنهج التاريخي، وأي خطأ من نقطة البدء الى نهاية الواقعة التاريخية قد يؤدي الى نتائج خطيرة، لذلك لابد من وضع القواعد الدقيقة التي يجب اتباعها والسير بكل دقة لتنفيذها، ويعد النقد

الباطني الخطوة الحقيقية في المنهج التاريخي، ويقصد بهذه العملية بيان ما يقصده صاحب الوثيقة، ومعرفة صدقه في الرواية سواء كان شاهد عيانأو كان ناقلا.

يساعد البحث التاريخي في التعرف على الاحداث التاريخية التي أثرت في المجتمعات الانسانية، ويساهم في توثيق التراث الانساني والحفاظ عليه للاجيال، ويساهم البحث التاريخي في دعم الانسان لاستشراف المستقبل من خلال الاستفادة من تجارب الماضي، ويعمل البحث التاريخي على تطوير التفكير النقدي من خلال تنمية ملكة ومهارات التقييم و التحليل لدى المؤرخ.

تكمن أهمية البحث التاريخي في استلهام أحداث التاريخ و التأمل فيها، ومعرفة كل ماطرأ عليها من تغيير، وتكشف لنا الابحاث التاريخية الدروس التي تفيد في توجيه حاضرنا وفهم مستقبلنا، فينبغي ألا ننسى القيمة العظيمة التي يفرزها لنا الماضي، وهي الوقوف على أوضاع المجتمعات السابقة، والعادات والتقاليد والافكار التي اندثرت وتركت القليل _او لا شيء _ خلفها، فأنت لا تستطيع أن تفهم وطنك مالم تعرف شيئا من تاريخه، وأي فعل ماض لا يعني شيئا للمؤرخ حتى يتسنى له فهم الفكر الكامن وراءه، ومن ثم " فان كل التاريخ تاريخ فكر " و " أحسن ثقافة من أجل الحياة الحقيقية هي معرفة الأشياء والعبر التي قدمها لنا التاريخ الفعلي التي تتيح للانسان دون أن تعذرضه للأخطار معرفة الطريق الأفضل و السلوك الأحسن في كل الظروف و المناسبات". وجاء في أهمية التاريخ في " الكامل في التاريخ " لإبن الأثير " فمن فوائد التاريخ: أن الملوك ومن اليهم الامر و النهي، اذا وقفوا على مافيه من سيرة أهل الجور والعدوان ورأوها مدونة في الكتب يتناقلها الناس، فيرويها خلف من سلف، ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر، وقبيح الأحدوثة، وخراب البلاد وهلاك العباد، وذهاب الاموال، وفساد الأحوال، استقبحوها وأعرضوا عنها وطرحوها، واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، وأن بلادهم وممالكهم عمرت، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه، وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الاراء الصائبة التي بها مضرات

الأعداء وخلصوا بها من المهالك واستعانوا نفائس المدن وعظيم الممالك، ولو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا."

لخص " ابن خلدون " أهمية التاريخ والبحث التاريخي بقوله: " اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدةالاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا."